الفصل الثاني

obeikandl.com

obeikandl.com

من الحجج التي تمسك بها الدكتور أبو هلالة، لائحة أسماء المنافقين التي خص رسول اللَّه ﷺ بها الصحابي حذيفة بن اليمان -رضي اللَّه عنه-، فهي دليل -عنده- على أنه لم يكن من مخلوق -بعد النبي- يعرف المنافقين بأعيانهم سوى حذيفة، وأن سؤال عمر بن الخطاب -رضي اللَّه عنه- لحذيفة عن اسمه هل ورد بين الأسماء التي استودعه رسول اللَّه كتمانها، يؤكد استحالة تمييز المؤمن الحقيقي من المنافق، فالجميع - في الظاهر- مسلمون..

* * *

بدءاً، نسجل على الاحتجاج بهذه الرواية من قبل الدكتور، أنه ينقض طعنه في الصحابة، فهي -في النهاية- رواية، وهو يشكك في المرويات جملة، فكيف يستقيم التشكيك في السنة مع قبول مايريد بالتشهي؟..

بل إن منهجه المخالف لكتاب اللَّه وسنة نبيه، بل حتى لبدهيات العقول، يلزمه بالمضي في تشككاته إلى نهايتها، فما الذي يمنع -وفقاً له- أن يكون حذيفة -وحاشاه- من فئة المنافقين، ويريد بث الفرقة في الجماعة المسلمة... إلى آخر تلك الأوهام المؤسسة على شفا جرف هار؟!..

ومن الناحية المنطقية: ألا يعرف الفاروق -رضي اللَّه عنه- عن نفسه أنه لا يبطن الكفر بل إنه مؤمن حقّاً؟.. أليس سؤاله دليلاً على ورع عظيم وحس إيماني مرهف وليس نتيجة شك في يقينه المستقر في فؤاده وعقله وروحه؟!.

أو لا يدري أن في سجله تزكيات وبشارات نبوية لم يظفر بأكثر منها سوى أبي بكر الصديق؟!... إن رسول اللَّه -أصدق المخلوقين- كان يسأل اللَّه لساناً صادقاً، فهل يفهم التائهون منها مافهموه من سؤال عمر لحذيفة -والعياذ باللَّه-؟!!

ونسأل من يقول ذلك: إذا كان الصحابة الذين شاهدوا كثيراً من مواقف النفاق وعلامات أهله، لا يعرفون -باستثناء حذيفة- أعيان المنافقين، فهل يعرفهم أهل عصرنا بعد أربعة عشر قرناً؟

إن أمر السرائر ليس من شأن البشر، ومن أظهر الإيمان واعتاد المساجد ولم يرتكب ما ينقض الإيمان، نشهد له بالإيمان، أما حقيقته فأمرها إلى علام الغيوب -سبحانه-... ولا يجوز لنا التشكيك فيه بالهوى والظن والرجم بالغيب..

وسؤال جوهري آخر: لوكانت أسماء المنافقين ذات صلة بإبلاغ الرسالة، فهل كان النبي ﷺ المرسل رحمة للعالمين، يستأثر حذيفة بها ويستأمنه أن يكتمها؟!... من أجاب بـ: نعم، فقد كفر.. لأن النبي ﷺ أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة ولم يكتم من أمر الدين شيئاً -وحاشاه-.

افتضاح المنافقين

فأبو هلالة تمسك بلائحة أسماء المنافقين لدى حذيفة، وتجاهل كل ماعداها من نصوص في كتاب اللَّه -عز وجل- وسنة رسوله ﷺ، وهذا ليس مسلك طلبة العلم الباحثين عن الحق..

فالمنافقون لم يكونوا مجهولي الأعيان في كل مراحل البعثة النبوية في العهد المدني، إذ كان سلوكهم في مواقف الامتحان يفتضح حقيقتهم، إنفاذاً لوعد من اللَّه -سبحانه-: ﴿**ما كان اللَّه ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان اللَّه ليطلعكم على الغيب...الآية**﴾[آل عمران: ١٧٩].

وهو قد تكرر في قوله -عز من قائل-: ﴿**وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين**﴾[الأنعام: ٥٥]. وفي قوله: ﴿**ومن الناس من يقول آمنا باللَّه فإذا أوذي في اللَّه جعل فتنة الناس كعذاب اللَّه ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس اللَّه بأعلم بما في صدور العالمين * وليعلمن اللَّه الذين آمنوا وليعلمن المنافقين**﴾ [العنكبوت: ١٠-١١].

فاللَّه -عز وجل- يعلم حال الجميع من قبل أن يخلقهم، ولذلك فالمراد هنا بالعلم: علم حجة ظاهرة.. وهذا قد تحقق إذ فضحتهم خصائص عامة لهم، ثم أصبحت مشخصة في الأزمات ومواقف المفاصلة التي لا تقبل الحلول الوسط.. فمن أبرز صفاتهم في كتاب اللَّه:

- ﴿**ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون**﴾[التوبة: ٥٤].

- ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد اللَّه على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل واللَّه لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق اللَّه أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد**﴾[البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

- ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا اللَّه والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾[آل عمران: ٧].

- ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من اللَّه قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فاللَّه يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل اللَّه للكافرين على المؤمنين سبيلاً * إن المنافقين يخادعون اللَّه وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون اللَّه إلا قليلاً * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل اللَّه فلن تجد له سبيلاً﴾ [النساء: ١٤١-١٤٣].

- ﴿لو كان عَرَضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون باللَّه لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم واللَّه يعلم إنهم لكاذبون * عفا اللَّه عنك لِمَ أذنتَ لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين * لا يستأذنك الذين يؤمنون باللَّه واليوم الآخر أن

يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم واللَّه عليم بالمتقين * إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون باللَّه واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره اللَّه انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين * لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم واللَّه عليم بالظالمين* لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر اللَّه وهم كارهون * ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾[التوبة: ٤٢-٤٩].

- ﴿ويحلفون باللَّه إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾[التوبة: ٥٦].

- ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾[التوبة: ٥٨].

- ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن...﴾ [التوبة: ٦١].

- ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنا كنا نخوض ونلعب قل أباللَّه وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾[التوبة: ٦٥].

- ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا اللَّه فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾[التوبة: ٦٧].

- ﴿ومنهم من عاهد اللَّه لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين* فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون﴾[التوبة: ٧٥-٧٦].

- ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر اللَّه منهم ولهم عذاب أليم﴾[التوبة: ٧٩].

- ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر اللَّه لهم ذلك بأنهم كفروا باللَّه ورسوله واللَّه لا يهدي القوم الفاسقين * فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول اللَّه وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللَّه وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون* فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون * فإن رجعك اللَّه إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا

إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين* ولا تُصل على أحد منهم مات أبداً ولاتقم على قبره إنهم كفروا باللَّه ورسوله وماتوا وهم فاسقون * ولا تُعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد اللَّه أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * وإذا أنزلت سورة أن آمنوا باللَّه وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾[التوبة ٨٠-٨٦].

- ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام اللَّه قل لن تتبعونا كذلكم قال اللَّه من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً﴾[الفتح: ١٥].

- ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا اللَّه من أخباركم...﴾[التوبة: ٩٤].

- ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب اللَّه ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى واللَّه يشهد إنهم لكاذبون﴾[التوبة: ١٠٧].

- ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن اللَّه وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل اللَّه أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم واللَّه أعلم بما يكتمون * الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾[آل عمران: ١٦٦-١٦٨].

- ﴿ألم تر إلى الذين نُهُوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به اللَّه ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا اللَّه بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾[المجادلة: ٨].

- ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب اللَّه عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾[المجادلة: ١٤].

- ﴿وإذا دُعُوا إلى اللَّه ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف اللَّه عليهم

ورسوله بل أولئك هم الظالمون * إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى اللَّه ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾ [النور: ٤٨-٥١].

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان اللَّه بما تعملون بصيراً * إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون باللَّه الظنونا* هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا اللَّه ورسوله إلا غروراً * وإذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذنُ فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً * ولقد كانوا عاهدوا اللَّه من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد اللَّه مسؤولا﴾[الأحزاب: ٨-١٥].

- ﴿ قد يعلم اللَّه المعوِّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً * أشحة عليكم فإذا جاء

الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط اللَّه أعمالهم وكان ذلك على اللَّه يسيراً * يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلاً﴾[الأحزاب: ١٨-٢٠].

- ﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع اللَّه على قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾[محمد: ١٦].

- ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم﴾[محمد: ٢٠].

- ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول واللَّه يعلم أعمالكم﴾[محمد: ٣٠].

- ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خُشُبٌ مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم

العدو فاحذرهم قاتلهم اللَّه أنى يؤفكون * وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول اللَّه لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون﴾[المنافقون: ٤-٥].

- ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول اللَّه حتى ينفضوا وللَّه خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون * يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وللَّه العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ [المنافقون: ٧-٨](*).

---

* تعمدت الاقتصار على ما جاء عن النفاق والمنافقين في القرآن الكريم دون السنة المطهرة، ويكفي الحديث الطويل الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد اللَّه بن مسعود -رضي اللَّه عنه- يحذر من التخلف عن صلاة الجماعة في المسجد، وفيه يقول: «. . . ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق. . .» [مسلم، صحيح مسلم، إشراف: علي عبد الحميد بلطجي، ط١، دار الخير/ بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ٢/ ٢٨٩، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة- باب: فضل صلاة الجماعة، الحديث رقم ٦٥٤]. وكذلك ما رواه عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر. .» [المرجع السابق، ٢/ ٢٨٧، الحديث رقم ٦٥١].

التمايز بين الصحابة والمنافقين..

ألا يكفي كل ما سبق من بيان الملامح العامة لأهل النفاق، وافتضاح مواقفهم العملية [في الغزوات وفي بناء مسجد الضرار وفي إثارة الفتن]، ألا يكفي كله للقول: إن التمايز بين الصحابة والمنافقين واضح لكل ذي عينين؟.. بلى -واللَّه- وبخاصة لو نظرنا في كتاب اللَّه وفي السنة والسيرة النبويتين إلى صفات المؤمنين من صدق وإخلاص وبذل رائع للنفوس والأموال.. ولا سيما إذا تأملنا في الوعود المتكررة بأن أمر المنافقين سيفتضح، وهو ما عرضنا بعض الآيات عنه، ونضيف هنا:

- **﴿ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد اللَّه فتنته فلن تملك له من اللَّه شيئاً أولئك الذين لم يرد اللَّه أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾**[المائدة: ٤١]..

وهل يكون الخزي سراً ؟ بل إنه افتضاحهم على رؤوس الأشهاد . .

- **﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج اللَّه أضغانهم﴾**[محمد : ٢٩] .

- **﴿.... فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم اللَّه عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة ومالهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾**[التوبة : ٧٤] .

والوعيد هنا بعذاب المنافقين إن لم يعودوا إلى حظيرة الإيمان، مع القطع بأنه لن يكون لهم ولي في الأرض مؤمناً أو غير مؤمن، هو دليل صريح على أنه لم تكن هناك موالاة بينهم وبين الصحابة، وإنما كف النبي عن قتلهم لأن أحكام الدنيا تجري على ظاهر الناس . .

إن التمايز بين الصحابة والمنافقين واقع حتى في الموقف الواحد، ونقتصر على أنموذجين -للتمثيل فحسب-، أولهما : تخلف المنافقين عن رسول اللَّه في غزوة العسرة (تبوك)، وهو ما بينته الآيات التي سبق الاستشهاد بها من سورة التوبة . . . أما الصحابة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول اللَّه في تلك الغزاة

دون عـذر: [وهم: ١- كـعب بن مـالك -٢- مُرَارة بن الربيع العَمْري -٣- هلال بن أمية الواقفي]، فإن موقفهم مختلف، لأنهم شعروا بتقصيرهم وكانوا مؤمنين حقّاً، فلم يختلقوا الأعذار الكاذبة التي اصطنعها المنافقون، فنزلت توبة اللَّه عليهم بعد أن هجرهم النبي والمؤمنون خمسين يوماً:

﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من اللَّه إلا إليه ثم تاب اللَّه عليهم ليتوبوا إن اللَّه هو التواب الرحيم﴾ [التوبة: ١١٨].

المثال الآخر هو حديث الإفك(*) حول عائشة -زوج النبي

(*) في مناسبة حديث الإفك لابد من التعليق على موقفين يوضحان نبل الصحابة وسمو أخلاقهم.. فأولهما: أن أبا بكر الصديق -رضي اللَّه عنه- كان ينفق على قريب له يدعى: مسطح بن أثاثة، وامتنع عن ذلك بعد أن أسهم مسطح في حديث الإفك الذي تناول أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر -رضي اللَّه عنهما-، لكن الصديق رجع إلى سيرته الأولى، لما نزل قول الحق -تعالى- ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل اللَّه وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر اللَّه لكم واللَّه غفور رحيم﴾[النور: ٢٢].

والثاني: ثناء عائشة على حسان بن ثابت - وكان له دور في حديث الإفك عنها- وكانت ترد على من يذكره أمامها بسوء، بأنه هو القائل:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

[جامع الأصول - ٢/ ٢٦٧]...

وأم المؤمنين- وهو حديث نسج خيوطه المفتراة رأس النفاق في المدينة: عبد اللَّه بن أبيّ بن سلول، ولذلك كان التمييز جلياً بين دوره الآثم المتعمد الناجم عن كفره المبطن، وخطأ الذين رددوه من المؤمنين دون تثبت ودون إدراك لخطورته:

﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾[النور: ١١].

شهادات حذيفة..

برغم اتضاح الصورة من جميع ما سبق بيانه، ربما سأل سائل: فكيف توفق بين أن يكون المنافقون معروفين، وبين أن يستكتم الرسول ﷺ حذيفة بن اليمان أسماءهم؟!.

وهو سؤال مشروع ويستحق إجابة دقيقة..

بدءاً، فإن شهادة حذيفة في قضية المنافقين أكثر دقة وتحديداً من الصيغة التي يعرضها بها «أبو هلالة» وكل من سبقوه في هذا الدرب...

إذاً، فلننظر في الروايات الواردة عن حذيفة -رضي اللَّه عنه-...

■ في صحيح البخاري، قال زيد بن وهب -رحمه اللَّه- : «كنا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية - يعني: ﴿**فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم**﴾ [التوبة: ١٢]، إلا ثلاثة، ولا بقي من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد، تخبرونا أخباراً لا ندري ما هي؟ تزعمون أن لا منافق إلا أربعة، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟ قال: أولئك الفُسَّاق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده»[(١)].

■ وفي صحيح البخاري أيضاً، قال حذيفة بن اليمان -رضي اللَّه عنه-: «إنما كان النفاق على عهد رسول اللَّه ﷺ، فأما اليوم، فإنه الكفر بعد الإيمان»[(٢)]. . وفي رواية أخرى: «[فإنما هو] الكفر أو الإيمان». وفي ثالثة قال: «إن المنافقين اليوم هم شرٌ منهم على عهد رسول اللَّه ﷺ كانوا يومئذ يُسِرُّون، واليوم يجهرون»[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، سورة براءة، باب: «فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم»، الحديث رقم ٤٦٥٨ [فتح الباري، ٨/ ٣٢٢].

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الفتن، باب: إذا قال عند قوم شيئا ثم خرج فقال بخلافه، الحديث رقم ٧١١٤ [فتح الباري، ١٣/ ٦٩].

(٣) ابن الأثير الجزري، جامع الأصول، مرجع سابق، ٢/ ١٥٩، ١٦٠.

■ وفي صحيح مسلم أن قيس بن عباد -رضي اللَّه عنه- قال: «قلت لعمار: أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر علي، أرأياً رأيتموه أم شيئاً عهده إليكم رسول اللَّه ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول اللَّه ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، ولكن أخبرني حذيفة أن رسول اللَّه ﷺ أعلمه اثني عشر منافقاً، منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، وأربعة لم أحفظ ما قال [شعبة] فيهم»[1].

وفي رواية: ثمانية [منهم] تكفيكهم الدُّبَيْلة -سراج من النار يظهر في أكتافهم- حتى ينجم في صدورهم».

■ وأخرج البخاري حديث الأسود بن يزيد النخعي قال: «كنا في حلقة عبد اللَّه بن مسعود فجاء حذيفة حتى قام علينا فسلم، ثم قال: لقد أُنْزِل النفاق على قوم خير منكم، فقلنا: سبحان اللَّه! فإن اللَّه عز وجل يقول: ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**﴾[النساء: ١٤٥]. فتبسم عبد اللَّه، وجلس حذيفة في ناحية المسجد، فقام عبد اللَّه وتفرق أصحابه، فرماني

---

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، ٥/ ٢٦٨، كتاب: المنافقين وأحكامهم، الحديث رقم ٢٧٧٩.

بالحصباء فأتيته، فقال حذيفة: عجبتُ من ضحكه وقد علم ما قلت، لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيراً منكم، ثم تابوا فتاب اللَّه عليهم»[1].

فوائد من شهادات حذيفة

١ - أن النفاق كان على عهد رسول اللَّه ﷺ، وأما بعد ذلك فإما إيمان أو كفر...

٢ - أن أقصى عدد ذكره حذيفة ١٢ منافقاً، فأين يذهبون أمام الألوف المؤلفة من الصحابة الكرام؟

٣ - أن للمنافقين الذين كانوا أحياء في ذلك الوقت، علامات تظهر على أبدانهم فتفضحهم...

وعليه فإن البون شاسع جداً، بين الحقيقة وادعاءات المرجفين الذين يعمدون إلى الابتسار والحذف والإضافة،

---

(١) صحيح البخاري، التفسير، سورة النساء، باب: «إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار»، الحديث رقم ٤٦٠٢ [فتح الباري، مرجع سابق، ٨/ ٢٦٦].
وانظر: جامع الأصول - ١١/ ٥٧٤، ٥٧٥، ويعلق ابن الأثير بأن مقصود حذيفة هو أن جماعة من المنافقين صلحوا واستقاموا، وكانوا خيراً من أولئك التابعين الذين كان يخاطبهم، لمكان الصحبة والصلاح، فممن كان منافقاً وصلح أمره واستقام: مُجَمِّع ويزيد ابنا جارية بن عامر، فكأنه أشار بالحديث إلى تقلب القلوب.

لتحقيق غرضهم المريض الذي ما أنزل اللَّه به من سلطان.

وفضلاً عن أن روايات حذيفة -متضافرةً- نصوص حاسمة في المسألة، فإني أضيف إليها حقيقة تاريخية ألحت عليَّ كثيراً منذ شرعت أفكر في الرد على هذه الفرية... فلو ظل المنافقون -بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ - فئة كثيرة العدد وذات شوكة مثلما كانت من قبل، لما ترددوا لحظة واحدة عن انتهاز الفرصة التاريخية لهم، ممثلة في ارتداد كثير من العرب، وقلة عدد المسلمين في مكة والمدينة!!! بل إننا لا نلمح لهم أدنى وجود في الحوار بين الخليفة الأول والصحابة الذين كانوا يعارضونه في أول الأمر لما أراد قتال مانعي الزكاة!!

ولسائل أن يسأل: فهل تبخرت أعداد المنافقين بمجرد وفاة النبي ﷺ؟... ونقتبس الإجابة من محكم التنزيل، قال اللَّه عز وجل:

﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً * إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا باللَّه وأخلصوا دينهم للَّه فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي اللَّه المؤمنين أجراً عظيماً﴾[النساء: ١٤٥ - ١٤٦].

فباب التوبة المفتوح اتسع لكثير ممن كانوا منافقين ثم آمنوا واستقاموا، تماماً كما قال حذيفة عنهم في حديثه لبعض التابعين في حلقة عبد اللَّه بن مسعود. . . وما من ريب في أن هلاك رأس النفاق في المدينة: ابن أُبيّ في السنة التاسعة للهجرة، وفتح مكة، ودخول العرب في دين اللَّه أفواجاً قبيل انتقال النبي الكريم إلى جوار ربه، كلها كانت عوامل تؤازر هذا الخط، حتى قال الرسول ﷺ -في حديث رواه مسلم عن جابر مرفوعاً-: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»[1].

وهناك دليل آخر على ما أزعم، في قوله - تبارك وتعالى -: ﴿**لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً * ملعونين أينما ثقفوا أُخِذوا وقتلوا تقتيلاً**﴾[الأحزاب: ٦٠ - ٦١].

فمن الثابت أن اللَّه ما أغرى نبيه بهم، فلم يخرجهم ﷺ من المدينة، ولم يقتلهم، وهو ما يؤكد انتفاء شرط الوعيد الإلهي

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، الحديث رقم: ٢٨١٢، ٥/ ٢٩١.

الجازم المقترن بالقسم وهو ما تأكد في الوعيد للمنافقين بأن يقاتلوا في حروب الردة وإلا فإن اللَّه سيعذبهم عذاباً شديداً: **﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم اللَّه أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليما﴾**[الفتح: ١٦].

ولم يتخلف عن قتال المرتدين ومانعي الزكاة أحد من كل من ظل يظهر إسلامه!!!

ومن ذلك كله، أخلص إلى أن الحكمة من لائحة الأسماء مع حذيفة، هي أن المنافقين باتوا قلة لا يؤبه بها، فما كانوا لينكشفوا مثلما انكشفوا مراراً في العهد النبوي، عندما يتخلفون عن الغزوات، أو يرجعون وهم في الطريق إليها ليثبطوا من عزيمة المؤمنين، أو عندما يهيئون مسجد الضرار لتمزيق وحدة الصف المسلم.. فوظيفة حذيفة أن يفتضح هؤلاء القلة إذا ما حاولوا إثارة الفتن، أو التصدي لمواقع قيادية، أو ممارسة التحريف في أي شكل من أشكاله.. واللَّه أعلم.